Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (6), Issue (1): 30 Mar 2020
P: 72 - 85

ISSN: 2518- 5780

مجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (6)، العدد (1): 30 مارس 2020 م
ص: 72- 85

The Polyphony of Closed Space in the Contemporary Saudi Narration

Mishal Fadhi al- Moghairi
Ministry of Education || Riyadh || KSA

Abstract: This study is based on studying the closed horizon in Saudi novels examining suggestiveness from these literary works. These reflections express either the author or the addressee's stream of consciousness attributed to social factors like poverty, heartbreaking, sadness, and fear. The constructive approach was employed here. The structure of the study is divided into introduction with emphasis on identifying the concept of horizon in novels generally. Then, there is a detailed discussion to various issues related to the main topic of the paper related to the closed horizon semantically with different lexemes and interactively with different characters. The study concluded that a text with multiple horizons creates excitement, and use closed horizon in novels to express intentional suggestiveness. Further, it demonstrates the level of how Saudi novelists adopt closed horizon in their literary works.

Keywords: closed space, moral significance, Saudi narrative, polyphony.

بوليفونيّة الفضاء المغلق في السرد السعودي المعاصر

مشعل بن فاضي المغيري
وزارة التعليم || الرياض || المملكة العربية السعودية

الملخص: هدف هذا البحث إلى دراسة الفضاء المغلق في الرواية السعودية وبحث الإيحاءات التي يقدمها وكيفية تفسيره لخوالج الكاتب أو الراوي أو المتلقي، ويسهم في الكشف عن الوضع الاجتماعي التي تعيشه الشخصيات من فقر وانكسار وحزن وخوف وغيرها من المشاعر، وقد تمت الدراسة في إطار المنهج الإنشائي، وقُسمت إلى مقدمة وتحديد لمفهوم الفضاء الروائي بشكل عام ثم الدخول إلى الفضاء المغلق بدءا بالمفهوم وبعده جاء الحديث عن التقسيمات لقضايا رئيسة، أهمها: الفضاء المغلق بحسب تفاعل الشخصيات والفضاء المغلق بتعدد دلالات الألفاظ والفضاء المغلق المتشكل من فضاءات أخرى.

ثم خلصت الدراسة إلى أبرز النتائج ومن أهمها: أن النص متعدد الفضاءات يصنع الإثارة ويُستخدم الفضاء المغلق في الروايات الحديثة بتقنيات تعبر عن الإيحاءات المقصودة، ويكشف عن مستوى توظيف الفضاء المغلق لدى الروائيين السعوديين.

الكلمات المفتاحية: الفضاء المغلق، الدلالة المعنوية، السرد السعودي، البوليفونية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإنّ الفضاء المتعدّد بأطيافه عنصر مهم في الإبداع الروائي، وله تأثير واضح على المتلقي بحسب فهمه وإدراكه للنّص السردي، وأيضًا له معنى ودلالة في التحليل، ومفهوم الإنسان للفضاء يبدأ من إدراك الجسد وحدوده إلى الكون الكلي، ومن الحيز الفردي إلى الحيز الجماعي، والعملية آخذة في الاتساع حسب مجالات تحرك الإنسان. ولا يكتسب الفضاء خصوصية (الروائي) من حيث كونه واردًا في متن روائي فقط، ولكنه يستمدها من مجموع العلاقات المتنوعة

والمتشابكة مع بقيّة عناصر الرواية ومكوناتها[1]، فالرواية قائمة على مجموعة من العناصر؛ كالشخصيّات والأحداث والزمان والمكان وغيرها من المكونات، وتتم صناعة العمل الروائي وفق ترابط هذه العناصر والتفاعل فيما بينها.

ويُعتبر الفضاء الروائي مركز جذب لسائر العناصر الروائيّة الأخرى وينهض بوظائف مهمة، فهو يحدد هوية الشخصيّات الروائيّة، ويبرز الحقائق الاجتماعية ويستفز الذاكرة ويفجر المشاعر، وفيه تنمو أحداث لا يمكن أن تنمو في غيره، وتسكنه شخصيات لا يمكن أن تسكن في غيره، والفضاء الروائي بمثابة الحافظة لأحداث معينة وشخصيات ذات ملامح محدّدة؛ لأن نسيج الفضاءات متناغم مع النسيج الاجتماعي، وإذا اعترى النسيج الأول أي خلل، فإن هذا الخلل ينعكس – لا محالة- على النسيج الثاني.

ويُسهم الفضاء إلى جانب العناصر الروائية الأخرى في الكشف عن المناطق الحيوية النابضة والملامح المحددة للكيان.[2]

والفضاء في الرواية التقليدية يحيل على دلالة مباشرة ونهائية ومغلقة؛ لأنه يظهر عبر النقل المروي الذي يبديه على أنه انعكاس للواقع، أو بعبارة أخرى انعكاس للعالم الواقعي في العالم الكتابي، ليصبح معطى نهائيًا وجاهزًا سلفًا، لكنه عرف مع الرواية الجديدة وضعًا اعتباريًا خاصًا؛ إذ أصبح خاضعًا لتطور رؤية الروائي الجمالية والمعرفية للواقع، فتغيرت طرق توظيفه في النّص الروائي، وتمت إعادة تشكيله وخلقه وإبداعه بطريقة تضفي خصوصية على الرواية، فأصبح يختلف ويتعدد من رواية إلى أخرى ليظهر بقوّة إبداعية يستكشف المؤلف من خلالها عوالم تعبر عن رؤاه وتبعده عن الجاهز والمعطى وتعانق الممكن.[3]

وتتداخل أنواع الفضاء فيما بينها ويفضي بعضها إلى بعض، "والتّعدد في الأشكال الفضائية يفصح عن تعدد في وجهات النظر، واختلاف طرق إبداعها، لكن هذا التباين والتعدد يشيان باستمرار، بالتداخل المتولد عن التشذر والتكرار وتعدد طرق الكتابة"[4]، وبحسب تكيّف الشخصيات مع الفضاء بمختلف نوعياته تكون رد فعل النّفس، فهناك الآمنة والعدوانية، وهناك فضاء يبعث على الشعور بالألفة وآخر يولد مشاعر الخوف والرهبة.

ولكل كاتب أساليبه الكتابية التي تخضع لرؤيته الجمالية والفكرية، وهي تحيل على دلالته ومعانيه التي يفسرها القارئ استنادًا على رمزية محتويات الفضاء أو الفضاء نفسه، والفضاء يعمل على فاعلية عملية الاتصال بين النّص والمتلقي، ويحاول أن يجعله مشاركًا بذهنه في التوقع والرسم المتخيّل لكل محتوى أخفاه الروائي دون وصفه.

وقد وجدت أن المنهج الإنشائي هو المنهج المناسب لهذه الدراسة الأدبية النقدية.

مفهوم الفضاء الروائي

إن الفضاء مفهوم شامل للمكان والزّمان، والعلاقة بينهما علاقة جزء بكل، "فالفضاء أداءٌ يشتمل على المكان والزّمان، لا كما هما في الواقع؛ بل كما يتحققان داخل النّص من لدن الروائي، مُسهمَين في تخصيص واقع النّص، وفي نسج نكهته المتميزة."[5]، وفي توضيح آخر لمفهوم الفضاء هو الحيّز الزّمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات، والأشياء

(1)- انظر: الفضاء الروائي في الأعمال الروائية لغسان كنفاني، إبراهيم كاتان، كلية الآداب، الرباط، ص88.

(2)- انظر: تعدد الأصوات في الروايات المحفوظية، ص 210.

(3)- انظر: الفضاء في الرواية العربية الجديدة، ص 69.

(4)- الفضاء في الرواية العربية الجديدة، ص 75.

(5)- الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، د. إبراهيم جنداري، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط:1، 2013م، ص25.

متلبسة بالأحداث، تبعًا لعوامل عدة، تتصل بالرؤية الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي، وبحساسيّة الروائي[6]. فالفضاء أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي في علاقته بالمكان.

ويرى باختين (Bakhtine) استحالة فصل الزّمان عن المكان عمومًا، ولا يمكن تصوّر أحدهما بمعزل عن الآخر، ومن أجل تأكيده على هذه النقطة ودمجهما في وحدة واحدة؛ فإنه يميل إلى صياغة مصطلح إجرائي يسميه: كرونوتوب (Chronotope) يحدد من خلاله الوحدة الفنيَّة للعمل الأدبي في علاقته بالواقع[7]، وهنا يؤكد باختين على انسجام المكان ودمجه مع الزمان في الخصائص العامة، ويقول أيضًا: في تفسير الزّمكانيّة، فهي تعني "التّرابط الدّاخلي الفني لعلاقات الزّمان والمكان المعبّر عنها في الأدب"[8].

ويقارب باختين (Bakhtine) مفهوم المكان باعتبار علاقته بالزمان، وباعتبار هذه العلاقة تفاعليّة بينهما، ولا ينظر إلى المكان على أنه طرف في علاقة ثنائية طرفها الآخر هو الزمان، ولا يضع طرف العلاقة موضع الضدّية أو التقابل مع الطرف الآخر، شأن النظرية البنيوية، لذا فهو بدلًا أن يستخدم مصطلح المكان أو الفضاء، اعتمد مصطلح: الكرونوتوب (Chronotope) أو (الزّمكان).[9]

الفضاء المغلق:

يُقصد بالفضاء المغلق الحيّز الزّمكاني المحدّد بحدود هندسيّة أو زمنيّة، وتتفاعل معه الشخصيات بحسب رد فعلها السيكولوجي معه والمنعكس على النّص، فإما أن يكون آمنًا ومكانًا مألوفًا أو أن يكون مُرهبًا ومولدًا لمشاعر الخوف واليأس.

والفضاء المغلق يسهم في خلق المعنى داخل الرواية، ويفسر رمزيته، ويساعد المتلقي على المشاركة الذهنية في خلق تفاصيل تتلاءم مع الأحداث، بالإضافة إلى استعادة ذكريات مشابهة لها أثر في نفس المتلقي. ويكثر ورود الفضاء المغلق وتوظيفه في الرواية السعودية المعاصرة، مع اختلاف الإجادة في الاستخدام، وغالبًا توحي الفضاءات المغلقة بالانكسار والحزن، والهم والظلم والخوف والفقر والعقوبة وعدم التكيّف والعدوانية والتهديد، ويندر استخدام الفضاء المغلق للتعبير عن الأمان والدفء والفرح والترف في الرواية السعودية المعاصرة.

ويشكل الفضاء المغلق والفضاء المفتوح قطبين متعارضين، لذلك اختلفت وظيفة كل منهما في الأعمال الروائية متعدّدة الأصوات، وعليها ستجد تعدّد الفضاءات وتنوعها في الأعمال الروائية.

ويقوم البحث على عدد من الروايات السعودية وهي: (فرسان وكهنة) للدكتور منذر القباني، (ماسحو الأحذية) لعائشة الدوسري، (ستر) لرجاء عالم، (أريد رجلًا) لنور عبدالمجيد، (البحريات) لأميمة الخميس، (قلوب تبحث عن مرافئ) لمحمد حمد الفارس، (العتمة) لسلام عبدالعزيز، 7(سبعة) لغازي القصيبي، (الرياض- نوفمبر90) لسعد الدوسري. ومن قضايا جزئيات الفضاء المغلق التي برزت في روايات مدونة الدراسة ثلاث قضايا: الأولى: الفضاء المغلق بحسب تفاعل الشخصيات وبحسب رد فعلها السيكولوجي (فإما أن يكون آمنًا ومكانًا مألوفًا أو أن يكون مُرهبًا ومولدًا لمشاعر الخوف واليأس).

والثانية: الفضاء المغلق بتعدّد دلالات الألفاظ (الفضاء النصي) من خلال توظيفها تعبيرًا عن المدلول.

والثالثة: الفضاء المغلق المتشكل من فضاءات أخرى والمتسم بالتكرار تعبيرًا عن معانٍ مقصودة.

---

(6)- انظر: الفضاء الروائي في الغربة: الإطار والدلالة، منيب محمد البوريمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1983م، ص 21.

(7)- انظر: الفضاء الروائي في الغربة: الإطار والدلالة، منيب محمد البوريمي، ص23.

(8)- دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الرويلي، ود. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:3، 2002م، ص170.

(9)- انظر: في مفاهيم النقد وحركة الثقافة العربية، د. يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ط:1، 2005م، ص65.

فالفضاء المغلق في الأعمال الروائية السعوديّة هو الذي يُحدد وفقًا لوضع الشخصيّات النّفسي وبحسب رد فعلها السيكولوجي، فبعض الفضاءات ضيقة هندسيًا، ولكن الشخصيّة تراها فضاءً فسيحًا وأليفًا ومحببًا، كالسجن والبيت الطيني القديم، وقد ظهر هذا النوع من الفضاء المغلق في عدد من الروايات، منها: رواية (فرسان وكهنة) لمنذر القباني، ورواية (ماسحو الأحذية) لعائشة الدوسري، ورواية (سبعة) لغازي القصيبي، ورواية (أريد رجلًا) لنور عبدالمجيد.

ويتبين توظيف الفضاء المغلق بحسب تفاعل الشخصيات ورد فعلها السيكولوجي في رواية: (فرسان وكهنة)[10]، يقول الروائي: " كانت الأحوال تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، حتى شعر مراد بأن الحياة في جدة قد ضاقت به، ففكر في الرحيل من المدينة التي ولد فيها ونشأ، فما الفائدة من البقاء في مكان ضاق به، حتى لفظه وجعل منه مذمومًا منبوذًا؟، استمرت رحلة مراد عبر الزمن مع الذكريات، ورجع بذاكرته إلى ذلك اليوم الممطر بجدة، عندما رنّ هاتفه المحمول وهو داخل شقته بحي الحمراء. لسبب ما لم يعاود إغلاق محموله ذلك اليوم"[11]، استطاع الروائي هنا توظيف الفضاء المغلق في مشاعر مراد؛ لأنه مرّ بموقف محرج في مقر عمله، وأُتهم بفعل شنيع وغير أخلاقي، فتركه الزملاء، وابتعدوا عن مصاحبته، وهنا أتى رد فعل الشخصيّة قوي على الفضاء بكامله، ضاق به مكان العمل، وضاقت به مدينة جدة، وضاق به المجتمع المحلي، وفي هذه اللحظات يشعر بالغربة، وعدم الاستقرار، وكأن العالم كله ينبذه؛ وفي الواقع لم يعلم بقصة اتهامه، إلا أصدقاء العمل فقط، فجدة فضاء رحيب، يأنس فيه أكثر الناس، فلو عاش (مراد) فيها، وابتعد عن محيط العمل، لشعر بالراحة والاستقرار، وهنا يتأكد للقارئ أن المشاعر النفسية هي المتحكمة في فضاء الشخصية وطريقة تفاعله معها.

وفي رواية (سبعة)[12] لغازي القصيبي، يتمثّل الفضاء المغلق في الوضع النّفسي ورد فعل الشخصية السيكولوجي، فشخصيّة الشاعر ترفض تقسيم الوفد على غرف متنوعة، فكان من نصيب الشاعر الغرفة الضيقة، ووصفها محتجًا بالزنزانة، تقول شخصيّة الشاعر في الرواية: "جناح لوكيل الوزير المساعد وفهمنا. رئيس الوفد. ولكن بأي حق يخصصون لمازن الحنبكي جناحًا؟ بأي حق؟ صعاليك البيروقراطية! وأُترك أنا، الشاعر الحقيقي، في هذه الغرفة الضيقة؟ في هذه الزنزانة التي لا تطل على شيء؟ أنا مفجر اللغة ومثوّرها ومقنبلها ومزرنخها"[13]. وهنا يرمز للظلم في توزيع الأدوار وتقسيم الأمكنة، ويعبر الفيلسوف عن استيائه من خلال الفضاء المغلق، في مجلس الكليّة الشّهري، عندما يبدي كرهه وعدم ارتياحه لحضور ذلك المجلس، فيقول:" اليوم موعد الاجتماع الشهري لمجلس الكلية، كم أكره هذا الاجتماع، وكم أكره هذا المجلس، كم أكره الدكتور بقراط سنقر رئيس قسم الأدب الإنجليزي، وتعليقاته السخيفة، وكم أكره الدكتور ناصف ملقط، رئيس قسم التاريخ، الذي ينتمي في شكله وتفكيره إلى فترة ما قبل التاريخ... عضو المجلس الوحيد الذي لا أكرهه هو الدكتور نصري هفتان، وكيل الكلية، الذي لا يتكلم على الإطلاق... كان الاجتماع كالعادة سيئًا، وبدأ بداية أسوأ من المعتاد"[14]، شخصيّة الأكاديمي والفيلسوف تتذمر من اجتماع مجلس الكليّة، ويبدو أن السبب الرئيس هو كرهه لرئيس قسم الأدب الإنجليزي وتعليقاته، وأيضًا رئيس قسم التاريخ، فالشخصيّة هنا ثائرة وانطباعها ذاتي، انعكس انغلاق النّفس وعدم ارتياحها، على فضاء مجلس الكلية بشكل عام.

واهتم منذر القباني في روايته (فرسان وكهنة) بتوظيف الفضاء المغلق بمشاعر الشخصيّات ورد فعلها، فالسجن لشخصيته الأولى مكان محبب، ومدينة (جدة) للشخصيّة الثانية رغم اتساعها مكان مغلق وتأثير رد فعلها

(10)- فرسان وكهنة، د.منذر القباني، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط:1، 2013م.

(11)- فرسان وكهنة، د.منذر القباني، ص25- 26.

(12)- 7(سبعة)، غازي القصيبي، دار الساقي، بيروت، ط:6، 2011م.

(13)- 7(سبعة)، ص35.

(14)- 7(سبعة)، ص65.

انعكس على الفضاء الرحيب بأكمله ولم يعد يشعر بالراحة، وفي هذه الجزئية أجاد منذر القباني توظيف الفضاء المغلق في المقطع الأول أكثر من إجادته في المقطع الثاني، وكان يستخدم المؤكدات في حديث شخصيته الأولى وكأنه يسخر من ساجنيه، وأما توظيفه للفضاء المغلق في شخصيته الثانية (مراد) فبسط الحديث عن وضعه النّفسي وعاد بالقارئ لذكريات الشخصيّة في ذلك الفضاء الذي ضاق به، وفيما يتعلق بالزمان والمكان فقد اهتم في المقطع الأول بالمكان (السجن) دون ذكر صريح للزمن وتأثيره، وأما المقطع الثاني في وصف شخصيّة (مراد) فقد اهتم بالمكان والزمان ليبين للقارئ مشاعر الشخصيّة الهاربة من الفضاء المغلق، والتنوّع لدى الروائي ظهر بصورة عكسية وجميلة؛ لأن فضاء (السجن) رغم محدوديته الهندسية إلا أن الشخصية ترى فيه السعة والراحة، وفضاء (المدينة) المتسع في الواقع قد ضاق على الشخصيّة ولم يجد فيها الراحة، وهذا يبين حسن استخدام الروائي لتنوع اهتماماته وإجادتها، وتوظيف الفضاءات المغلقة برد فعل عكسي لحقيقة الواقع.

وأما فيما يتعلق بالفضاء المغلق بتعدّد دلالات الألفاظ (الفضاء النّصي) من خلال توظيفها تعبيرًا عن المدلول، فقد ظهر هذا النوع من الفضاء المغلق في عدد من الروايات، من أهمها: رواية (ماسحو الأحذية)، ورواية (ستر) لرجاء عالم، ورواية (العتمة) لسلام عبدالعزيز.

ولا يخلو الفضاء النّصي من أهمية، رغم عدم ارتباطه بمضمون القص أو الحكي، فهو فضاء مكاني يتشكل عبر مساحة الكتاب وأبعاده، وهو مكان تتحرك فيه عين القارئ ثم خياله، ومن ثم يحكم تعامل القارئ مع النّص الروائي، ورغم اعتباره مجرد فضاء للكتابة الروائية فإنه يقود القارئ إلى فهم خاص للعمل الروائي، وتأتي الأهمية الأولية للفضاء النّصي من سبقه للفضاء الروائي المتخيَّل، فهو خلفيته التي يتشكل عليها، ومنه يبدأ المتلقي في تشكيل ذلك الفضاء الروائي المتخيل عبر إشارات النص التي تكتسب فيه اللغة دلالاتها المكانية.[15]ويرتبط الفضاء النّصي بالفضاء المغلق بالمحدودية وضيق المكان، والفضاء النّصي جزء من الفضاء المغلق.

وقد وظفت عائشة الدوسري في روايتها(ماسحو الأحذية) الفضاء المغلق وعبرت عنه من خلال دلالات لفظية في حديثها عن ماسح الأحذية (سركيس) البطل الثالث في الرّواية، تقول: "انفصل والداه وهو بعد طفل صغير، فتلاعبت به أيدي الزّمن ما بين بيت والده وزوجته وما بين بيت والدته وزوجها، وكان يرى في أعينهما ضيقًا منه لا يعرف له سببًا (ربما كان عبئًا ثقيلًا عليهما)، حتى كبر وترك منزل الاثنين وعمل بمسح الأحذية، وسكن غرفة مستأجرة في منزل امرأة عجوز وحيدة تسكن في بيت طين قديم في أحد الأزقة الضيقة في حي فقير. قد تقولون باله مرتاح، ولكن الجسد ذا القلب المنشغل لا يهدأ ولا يكن ولا يرتاح له بال"[16].

وللفضاء المغلق في المقطع السابق من رواية (ماسحو الأحذية) دلالته من خلال توظيف بعض الألفاظ التي لها إيحاءات تعطي المعنى المقصود، والجدول الآتي يوضح دلالة اللفظ على الفضاء المغلق فيها:

الفضاء المغلق	دلالته
غرفة مستأجرة	مضطر بسبب الفقر والحاجة
منزل امرأة عجوز وحيدة	غير قادرة على العمل والاهتمام بالمسكن
بيت طيني	قديم- متهالك- ضيّق
أزقة ضيّقة	تكرار الانغلاق يعبر عن كثرة الهموم

(15)- انظر: الفضاء النصي بين تقليدية الرواية وتقنياتها الحديثة، د.عبدالمنعم مناع، مجلة الرافد، الشارقة، http://www.arrafid.ae/arrafid/p13_9- 2010.html

(16)- ماسحو الأحذية، ص14.

الفضاء المغلق	دلالته
حي فقير	فضاء مغلق كبير احتوى فضاءات اليأس المتكررة، بمعنى أن الحال يزداد نقصا.

وتنتقل الروائية من فضاء مغلق صغير إلى فضاء مغلق أكبر؛ تعبيرًا عن سأم الشخصية وضجرها، وتصوير شعور الشخصيّة الكاره المحاول للتغيير، والكشف عن صموده وقوته، وتجاوزه لتلك المرحلة الصعبة جدًا، كما صوّرها الرّاوي في أحداثه الآتية.

ومن الفضاءات المغلقة- التي تندرج تحت الفضاء المغلق بتعدّد دلالات الألفاظ (الفضاء النصي) من خلال توظيفها تعبيرًا عن المدلول- فضاء الكتابة المحدودة بمكان هندسي معيّن سواء أكان مقالًا أم رواية، فقد وظفته الروائية عائشة الدوسري في روايتها (ماسحو الأحذية) من خلال مقال في عمود صحفي داخل الرواية لشخصيّة من شخصياتها هو(مروان ماروق)، وجعلته يُعرّف أبطال الرواية وبعضًا من تفاصيل حياتهم، وقامت بتوظيف الرواية إضافة إلى المقال داخل روايتها من خلال رواية شخصيّة البطل الأول (زياد) الذي أصبح روائيًا مشهورًا، وقد عنونت شخصية مروان مقالها داخل الرواية بـ(ماسحو الأحذية)، تقول الروائية:" همس أحد الأدباء لمروان ماروق قائلًا: ما الذي قد يجمع النائب بالروائي والمغني؟ هذه وجبة دسمة يا أستاذ مروان لابد أن تكتب عنها في عمودك الأسبوعي.

إنني أعلم ما الذي يجمعهم وقد كتبت عنهم في أحد مقالاتي (ماسحو الأحذية)[17].

توسّط زياد صديقيه وليدًا وسركيس ممسكًا بكفيهما ومتوجهًا نحو المنبر. وقف زياد على المنبر وعن يمينه وشماله صديقاه، فبدأ كلمته: لقد اكتمل المشهد في روايتي بحضور وليد... كلمة

شكر لكل من ألهمني لكتابة هذه الرواية (ماسحو الأحذية)[18] شكرًا لوليد وشكرًا لسركيس... شكرًا لأصدقائي في السعودية، مجتمعي الجديد الذي ألهمني الكثير"[19].

ويدرك القارئ الفضاء النّصي المكتوب على ورق محدود، ومن خلال فضاء الكتابة تتشكّل الصفحات المقروءة، والأمكنة المتخيّلة في الصفحات المعدودة، استقطابًا لانتباه القارئ، وتفعيل التفكير في ماهية المقال وصياغته، والفضاء المغلق في الغالب يحضر في النّص المكتوب باهتًا ولا يحمل تفاصيل كثيرة تعطي دلالات كاشفة للمتلقي، وحضوره محدود في الكتابة، ويترك مساحة للقارئ يصنع من خلال معطيات النّص المحدود توقعات تفسيرية لدلالات الفضاء المغلق.

وقد تبين من خلال مقال (ماسحو الأحذية) لشخصية مروان ماروق في رواية (ماسحو الأحذية) أن ذلك كان محاولة موفقة في إقناع القارئ بقوة الشخصيات الروائية المشاركة، وصبرهم في تخطي مراحل اليأس والفقر والضعف، وتسطير تحولاتهم داخل الرواية في صورة مقالات صحفية وكتابة روايات، واكتفت عائشة الدوسري بخبر المقال الصحفي لشخصية مروان ماروق دون الكشف عن مضمون المقال في الرواية الرئيسة، لذا فالمقال جاء بمعنى دون تفاصيل دقيقة تكشف محتويات المقال وأسلوب كاتبه.

وقد وظفت رجاء عالم في روايتها (ستر)[20]، الفضاء المغلق بتعدّد دلالات الألفاظ (الفضاء النّصي) من خلال الحجرة العتيقة ومزامنة الظلام وتوظيف القبر وصراعاته، وتتضح الدلالة وينكشف استخدام الفضاء المغلق للتعبير عن معانٍ مقصودة، وتوظيفها للفضاء المغلق توظيفا مباشرًا وهندسيًا لا تشعر فيه بالأمان، وتحاول أن تُحلّق بفكرها في فضاء أرحب بعيدًا عن المحسوس في الفضاء المغلق، تقول الروائية: "سقطت مثل ورقة من بقعتها على السرير بدت لها الحجرة وأحداثها مثل حلم: حجرة كل ما فيها في حالة وقف عتيق؛ خزانة الثياب بألوانها الربيعية في صحاري الجزيرة

(17)- هذا عنوان مقال لشخصيّة (مروان ماروق) داخل رواية (ماسحو الأحذية)، وهو مطابق لعنوان الرواية الأساسية.

(18)- هذا عنوان رواية لشخصيّة (زياد) داخل رواية (ماسحو الأحذية)، وهو مطابق لعنوان الرواية الأساسية.

(19)- ماسحو الأحذية، ص418- 419.

(20)- ستر، رجاء عالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:2، 2007م.

الموحدّة القناع، المكتبة الطافحة برؤوس مفكرين يحرضون حتى النور في سقوطه على جسدها من شقوق جهاز التكييف، الفتحة الوحيدة التي يخترقها النور إليها بعد احتلال التكييف للنافذة، السرير الضيّق ليسمح لرؤوس ثوار الكتب بالتنفس على مؤخر عنقها بلا حياء أو وجل، كل نفثة ثعبان صغير يلدغها لتكون سامة بأشرس وجوه الغربة"[21].وتدمج الروائية بين الفضاء المغلق (ظلام الحجرة) الحسي، ونور الكتب المعنوي، وهنا وصف الفضاء جاء على حقيقته، أما وصف التنوير وأثر القراءة، فجاء برمز تعبيري، يقصد من خلاله جلب النّور إلى عوالم النّفس، والشعور بالأمان. وتقديم رجاء عالم الوصف المكاني على غيره في روايتها (ستر) لا تأتي به إلا لغاية تتوخاها ولأهمية؛ لا يصلح غير هذا المكان لتأديتها وفق مقتضيات فنية خاصة ترى فيها الروائية حتمية ذلك التقديم.[22]وأمّا ضيق الحجرة الهندسي؛ بسبب تصميمها القديم، وتحويلها إلى مكتبة مع وجود السرير، فالفضاء المغلق هنا يشعر القارئ بعدم تكيّف الشخصيّة في هذا الفضاء، والشعور بالغربة، وعلى إثره تنتقل الشخصيّة لعالم مضاء، تندمج فيه وتنسى الظلام وتنتصر على الغربة، من خلال (رؤوس المفكرين المحرضين حتى النّور)، على تنوير الحجرة بسبب تفاعل الشخصية مع مؤلفاتهم.

وقد وظفت رجاء عالم (القبر) بمحتوياته للدلالة على الموقف الحرج وإعادة ترتيب الأوراق تحسبًا لهذا الموقف، فتقول: "القبر وقفة مصرفية، يراجع فيها الميت أرصدته، يسحب أو يودع، وربما يستلم دفتر شيكاته، لا بطاقة صراف تأتي مع البريد، أما كشف الحساب فلا بد من مراجعته مع الموظف!... ولا أحد اعتنى بفك أكفان المستشفى، الابن الأكبر مروان غائب في فضاء ضوئي يصارع طواحينه بينما الابن الأصغر يراجع تفاصيل هجرته، والأقارب في عجلة والزوجة في خنوع، دفنوه في أكفان بيض- لم تطيبها يد زوجة ولم تلفها عين حبيب ولم ترقها دمعة لوعة- خِرق من مخرجات المستشفى، لفوه من ذات السجن الأبيض"[23].

فالروائية هنا عبرَت عن الفضاء المغلق من خلال القبر، ووقت التخلي عن الأب، وانشغال الآخرين بدنياهم، مع التهكم على الميت، وتعلقه بدنياه التي أشغلت غيره عنه.

وللفضاء النّصي المغلق في المقطع السابق من رواية (ستر) دلالته من خلال توظيف بعض الألفاظ التي لها إيحاءات تعطي المعنى المقصود، والجدول الآتي يوضح دلالة اللفظ على الفضاء المغلق فيها:

الفضاء المغلق:	دلالته:
القبر	عزلة ومحطة محاسبة
لا أحد اعتنى بفك أكفان المستشفى	الإهمال والوحدة والضيق
غياب مروان وصد الأبناء	الانشغال بالدنيا والعقوق
خِرق من مخرجات المستشفى	التكرار يؤكد الإهمال وعدم الأهمية واليأس
السجن الأبيض	في حقيقته فضاء مكاني يوحي بالكآبة وعمق الحزن (الكفن)

فالقارئ يأخذ دور الميت ويشعر بشعوره، لأنه يرى المشاهد من حوله، كتهميش الأقارب وانشغال الأبناء، وعدم الوفاء لهذا الأب والقريب، الذي تعب من أجلهم، وفيه توجيه للقارئ بأن يتنبّه لأخطاء شخصيّة (العقيد) في تعامله مع أهله وانشغاله بأمواله.

(21)- ستر، رجاء عالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:2، 2007م، ص7.

(22)- انظر: الفضاء النصي بين تقليدية الرواية وتقنياتها الحديثة، د.عبدالمنعم مناع، مجلة الرافد، الشارقة، http://www.arrafid.ae/arrafid/p13_9- 2010.html

(23)- ستر، رجاء عالم، ص247.

وتتعدّد بعض معاني الانغلاق النّصي في فضاء الرواية الحقيقي والمتخيّل؛ ليتم تفاعل القارئ مع النّص، وتتشكل حركة المعايشة، وإكمال تأويل المعنى في الذاكرة، كالأحداث الصغيرة التي شاركت على انغلاق الفضاء النّصي بدلالات مفسرة. ومن الروايات السعودية التي تعدّدت في نصها دلالات الانغلاق في الفضاء النّصي، رواية (العتمة)[24] تقول الروائية: "قضبان خرساء لا تقرأ حزن المساجين ولون إنسانيتهم، قضبان ونافذة صغيرة لا ينفذ منها سوى الظلام، عيون مطلق معلقة بها في عتمة متكاثفة، وقلب لأول مرة يشعر به، وبإنسانيته، تمتد يداه إلى قضبان النافذة الحديدية وبصره يسافر عبرها، يقف على رؤوس أصابعه محاولًا التقاط أي بصيص للخارج"[25].

وللفضاء النّصي المغلق في المقطع السابق من رواية (العتمة) دلالته من خلال توظيف بعض الألفاظ التي لها إيحاءات تعطي المعنى المقصود، والجدول الآتي يوضح دلالة اللفظ على الفضاء المغلق فيها:

الفضاء المغلق	دلالته
قضبان خرساء	عدم الإحساس بمشاعر البشر ورحمتهم
حزن المساجين	قوة الهموم واليأس
نافذة صغيرة	شبه انعدام الأمل وسوء المصير
الظلام- عتمة	التكرار والتنوّع يؤكد قوّة الانغلاق والضيق
الحديدية	فقدان الاستجابة وشدة العقوبة

وهذه الدلالات المتعدّدة تعطي القارئ مؤشرًا بصعوبة الخروج من السجن، فشخصيّة عطيّة المسجون محكومة بالقصاص، لذلك تعدّدت مصطلحات الانغلاق، أما تكرار: (قضبان، نافذة، عتمة) فهي توحي للقارئ بأن المكان مكتنز بالهم والحزن وقرب الرحيل، ولا وجود للأمل في هذا المعتقل. وقالت بأن القضبان لا تقرأ حزن المساجين، أي بمعنى لو كانت تحس لأدركت حجم معاناتهم وعظم همهم وفقدانهم للأمل، ومحال وصول الرحمة البشرية لداخل تلك الزنزانة. وقد أجادت الروائية توظيف الفضاء المغلق في المقطع السابق باستخدام التعدّد لإثبات الحادثة ومحاولة إقناع القارئ بيأس الشخصية من التحرر والإفراج، وتنامي الحدث باتجاه الفضاء المغلق.

وأما فيما يتعلق بالفضاء المغلق المتشكل من فضاءات أخرى والمتّسم بالتكرار تعبيرًا عن معاني مقصودة، فقد ظهر هذا النوع من الفضاء المغلق في عدد من الروايات موضع الدراسة، ومن أهمها: رواية (ماسحو الأحذية)، ورواية (فرسان وكهنة)، ورواية (العتمة)، وراية (قلوب تبحث عن مرافئ) لمحمد الفارس، ورواية (البحريات) لأميمة خميس.

فقد برز في رواية (ماسحو الأحذية) الفضاء المغلق حيث تتشكّل الفضاءات المغلقة الخاصة من فضاءات مغلقة عامة، فالعالم البائس الضيق الذي يشعر به البطل الأول (زياد)، نفسه أثرّ على البطل الثاني- كما يسميه الروائي- (وليد)، ومن أسباب الفقر مرّ بفضاءات هندسية مغلقة، فقد تزوج ثم سكن شقة متهالكة في سطح بناية قديمة، وبعد انهيارها انتقل إلى فضاء أكثر تضييقًا وهي غرفة والد زوجته، الذي كان يعمل حارسًا للبناية، فالفضاء المغلق هنا دلّ على حالة (وليد) المعيشية وأعطى تصورًا سريعًا لحال أبطال الرواية وكيف استطاعوا تخطي تلك المراحل الصعبة، وتحدثت الروائية مباشرة عن وضع الشخصيّة الثانية المعيشي، فتقول: "هذا المقطع يصف حال بطلنا الثاني ماسح الأحذية...تزوجا وأقاما في شقة على سطح إحدى البنايات القديمة والتي انهارت بعد أشهر على زواجهما فانتقلا للعيش في غرفة والدها الحارس"[26]. وتمثل الأماكن المغلقة في رواية (ماسحو الأحذية) أماكنَ فرعية، كالشقة ومن ثم الغرفة، وهي

(24)- العتمة، سلام عبدالعزيز، دار الساقي، بيروت، ط:1، 2009م.

(25)- العتمة، سلام عبدالعزيز، دار الساقي، بيروت، ط:1، 2009م، ص 92.

(26)- ماسحو الأحذية، ص 12- 13.

موظفة لخدمة النموذج الفضائيّ العام، وهي أماكن مرتبطة بالأرض وهمومها وبالحياة وقيودها وبمسؤوليات الإنسان وصراعاته، وما أقساها! لذلك يضيق الأديب بحياة يحدها الزّمان ويحيط بها المكان: حياة الدّقائق والسّاعات والأعوام وحياة الأرض وقيودها[27]، ويتعدّد توظيف الفضاءات المغلقة في الرواية متعدّدة الأصوات؛ لبيان حجم مأسّاة الشّخصيّة، ولدلالة مرارة العيش في صورة فنية واضحة.

ويتكرر الفضاء المغلق المتشكّل من الفضاء الفسيح في رواية (فرسان وكهنة)، ويتضح هذا في شخصيّة محمد البخاري، ومعاناته النفسية التي بسببها ضاقت به بخارى، فأمه المظلومة تُعذب ويُؤخذ حقها دون وجه حق، وبعد ذلك تسجن، يقول الروائي: "تمنى محمد بن إسحاق البخاري لو أنه لم يعد إلى بخارى، لو أنه ظل بعيدًا هناك في الشرق ولم يعد ليسمع ما حلّ بأمه من وهن وعذاب...ذهبت إلى القاضي يحيى بن ريحان، لكي تشتكي طليقها، متهمة إياه بالنصب والاحتيال، حكم عليها القاضي بالجلد بحجة القذف، ثم بعد ذلك أمر بحبسها، عندما حاولت عنوة دخول بيتها الذي سُلب منها، بعدما تزوج طليقها بشقيقة القاضي. ظلت أم محمد في سجن قلعة بخارى سنة ونيفًا، قبل أن يتوفاها ربها، ويريحها من العذاب الذي وجدت نفسها فيه"[28]. فالمظلوم تضيق به الأرض، وخاصة عندما يكون الظالم صاحب سلطة كالقاضي، وقد اختار الروائي الفضاء المغلق؛ لتأكيد معاناة المظلوم (والدة محمد بن إسحاق البخاري)، التي كانت نهايتها سجن ثم موت، ويكتشف القارئ أن وقع الظلم على الابن أكثر ضررًا من الأم، لأن الروائي اهتم بمشاعر الابن أكثر من الأم.

وفي رواية (قلوب تبحث عن مرافئ)[29]، اجتمع الظلام والعشة المتواضعة وهما دليلان للفضاء المغلق المتشكل من فضاءات أخرى من الناحية الزمانية والمكانية، فالظلام يقتصر فيه النظر، وتكون الرؤية البصرية على حدود ضيقة وقريبة، أما العشة فهي المكان القديم ويبدر لذهن القارئ صغر حجمها، لأنها مصنوعة من القش ومشدودة بالحبال، ويذكر الروائي حلول الظلام وتشكله بعد الرؤية البصرية في النهار، فيقول: "يحل الظلام قبل أن يصل عبدالله إلى بيت سالم الذي لا يختلف كثيرًا عن بقية العشش المبنية بالحجر. يتوه لوهلة، فالعشش المتناثرة على الساحل متشابهة في بنائها، تعلوها أسقف من القش مخروطية الشكل ومشدودة بالحبال والأخشاب... يقف في الظلام متأملًا تلك العشة المتواضعة، مثيرة فيه ذكرى بيته الصغير في سيلم... المسكن بسكانه وليس بجدرانه"[30]. ويحضر توظيف الفضاء المغلق هنا؛ لترجمة دواخل شخصيّة (عبدالله)، وما يدور فيها من أحاسيس ومشاعر تكشف حنينه لبيته الصغير وذكرياته في سيلم، والأهم عند عبدالله هو سعادة السكان وتعاونهم بعيدًا عن نوع المسكن.

وتكرر في بعض الروايات السعودية توظيف (اللّيل) للدلالة على الفضاء المغلق، مع استخدام وسائل مساعدة كالأصوات، فهي تصور أحاسيس الإنسان داخل هذا العمل، وما يتعاقب على دواخله من مشاعر مع وحوشة المكان وضيقه، ففي رواية (البحريات)[31]: "في الليل تجلس تحت قمريتها وتستمع إلى صوت مخلوقات الليل، وأزيز سيارة تمر من بعيد، ورفرفة بعض الرؤوس التي تختلس النظر إليها من بين أوراق شجرة السدر باستغراب وحزن... كانت تمسك مسبحتها بيدها، وتهمس يا نور، يا نور أخرجني من الظلمة...فلا يجيبها سوى زئير الأسود الذي يخرش أعماق روحها ولم ينبجس النور في حفرتها السوداء المظلمة"[32]. فالأصوات في المقطع السابق لها دور مهم في الشعرية والإيحائية، فهناك

(27)- انظر: الأدب التونسي الحديث وسؤال الجمالية، د. أحمد الودرني، ابن زيدون للنشر، 2007م، ص161

(28)- فرسان وكهنة، ص215.

(29)- قلوب تبحث عن مرافئ، محمد حمد الفارس، دار الساقي، بيروت، ط:1، 2014م.

(30)- قلوب تبحث عن مرافئ، محمد حمد الفارس، ص180.

(31)- البحريات، أميمة الخميس، دار المدى، دمشق، ط:1، 2006م.

(32)- البحريات، أميمة الخميس، ص257- 258.

أشياء لا يفهمها القارئ ولا يعيشها إلا من خلال التفاصيل الصغيرة، والدلائل التي تشغل ذهنه في التأمل ورسم الموقف وتصوره. وقد استطاعت الروائية أن تمزج الزمن مع المكان بالإضافة للصوت؛ لنقل صورة الشخصيّة وقوة صراعها مع لحظة الخوف وضغط الوحشة، فتكرار الليل ومعانيه، وضيق المكان ومعانيه، تمكنّت من تحقيق هدفها من خلال الأصوات الموحشة (أزيز سيارة، رفرفة بعض الرؤوس، تهمس، زئير الأسود، يخرش أعماق روحها)، بعضها مشهد بصوت- كرفرفة بعض الرؤوس التي تختلس النظر إليها- وبعضها الآخر صوت فقط – كزئير الأسود. والفضاء المغلق في المقطع السابق يتسم بعدوانية مخلوقاته، مع خوف الشخصيّة وحزنها العميق، والحفرة دليل واضح على الضيق مع الخوف والاستسلام.

وقد تميزت عائشة الدوسري في الفضاء المغلق المتشكل من فضاءات أخرى بالتعدد والانتقال مع تنوع الفضاءات المغلقة، فبرز في بعض نصوصها هذا العنصر بوضوح والانتقال بالشخصيّات بين الفضاءات لها إيحاءات مقصودة، وتكشف جوانب مهمة للقارئ ليكتمل عنده التصور المتعلق بوضع الشخصيات، وانفردت عائشة الدوسري في هذا العنصر بالتركيز على الأحداث الكبرى ووصفها وصفًا مجملًا، واستخدمت ألفاظًا صحفية ولم تتعمق في الخيال، فالمعاني كانت مباشرة وواضحة، ومن إيجابيات توظيفها للفضاء المغلق المتشكل من فضاءات أخرى التركيز على الفضاء المكاني المعني بالتأثير على حالة الشخصية مع عدم إغفال الفضاء الزماني المفهوم من السياق، ويؤخذ على الروائية الخروج عن النص ومخاطبة القارئ مباشرة، والمبالغة في المعاني السطحية، كقولها: (هذا المقطع يصف حال بطلنا الثاني ماسح الأحذية)، مما أثر سلبيًا على النّص بأن جعله غير متماسك وأوجدت فيه فجوة منعت ترابط الأفكار عند القارئ، وهذا الأسلوب يربك دخوله في عالم الرواية ومعايشتها على صورة حقيقة واقعية يعيشها الذهن، وقد أجادت الروائية توظيف الفضاء المغلق المتشكل من فضاءات أخرى، كقولها: (أقاما في شقة على سطح إحدى البنايات القديمة والتي انهارت بعد أشهر على زواجهما فانتقلا للعيش في غرفة والدها الحارس)، فأصبحت الرواية بذلك الأسلوب تعطي للقارئ تعدد الفضاء المغلق وتنوعه حسب ظروف الشخصيات ولدلالة الحال الذي يعيشونه، ومعرفة بعض التفاصيل التي يستنتجها القارئ من معطيات النّص.

وأما فيما يتعلق بتأثير الأحداث الخارجيّة في تعدديّة الفضاء المغلق فقد برز هذا النوع في رواية (الرياض-نوفمبر90) لسعد الدوسري من خلال أزمة حرب الخليج وتأثيرها على المنطقة، ففي عام (1411هـ) ظهرت تطورات اجتماعية أفرزت حراكًا ثقافيًا تجلّى في ظهور روايات واكبت الحدث الكبير بتصورات معينة، فمن الروايات موضع الدراسة رواية: (الرياض- نوفمبر90[33])، وقد وظف كاتبها عددًا من الفضاءات المتنوعة، فجاء في الفضاء المغلق: "رميت صحيفة الخميس جانبًا، ونظرت إلى رفوف مكتبي، باحثًا عن رواية (انتفاضة المشانق) للكاتب المكسيكي (ترافن غروفس). منذ الاجتياح وأنا أرى الخميس أكثر الأيام شراسة، فارع القامة، يلوي طرف عباءته على ذراعه اليسرى، وعلى ذراعه اليمنى، نسر جارح يفوح برائحة الجيف. حاولت رغم إحباطي أن أضع للأشياء رونقًا مغايرًا"[34].

وبعد أن اجتاح العراق الكويت، تنبأ المجتمع الخليجي بكارثة دموية، وكان القلق هو سيد الموقف، المواطن السعودي يتابع الأحداث أولًا بأول، تروي شخصيّة الرواية الطبيب (نواف) تفاصيل الأحداث التي عاشها بكامل تفاصيلها، وهنا ركزّ الروائي على الفضاء الزماني (يوم الخميس)، حيث يراه أكثر الأيام شراسة، يختلف عن باقي الأيام، نسر جارح يفوح برائحة الجيف، في يوم الخميس ستبدأ المعارك، ويبدأ الموت، دفاعًا عن الأرض، يحاول أن يرسم سعد الدوسري للقارئ التفاصيل الصغيرة التي واكبت العدوان وصده؛ لأن أغلب الناس لا يعرف إلا النتائج النهائية، ولم يعشْ

(33)- الرياض- نوفمبر90، سعد الدوسري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:2، 2012م.

(34)- الرياض- نوفمبر90، سعد الدوسري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:2، 2012م، ص7.

لحظة الحرب وما قبله، لذا اختار الروائي سعد الدوسري الفضاء الزماني (الخميس) ولم يركز على الفضاء المكاني بقدر تركيزه على الزمن؛ لأن الحرب مسألة وقت، فعندما تقف الحرب، سيتوقف الدمار والقتل، والبداية هي في تلك الحرب هي المرحلة الأصعب. ويؤكد أيضًا مرة أخرى على الزّمن داخل الفضاء (الخميس)، فيقول: "خطيئة تسربت إلى مخدتي، وأوعزت لديدانها أن تنهش لحم رأسي لما أصحو! لقد صحونا خميسًا لنجد حدود خريطتنا تنزف مدرعات ومجنزرات عربية. حين فغرنا أفواهنا دهشة، تسابقت طائرات النّجدة الأمريكية في تحطيم أسناننا، كبرنا ألف سنة، تجعّدت جلودنا، وظللنا على عكازات الكهولة المفاجئة، نجتر عواصم يحلق الحمام مطمئنًا على حواجزها الملغاة، لكن الطنين الذي كان يضج برأسي، لم يستسغ هذا البوح"[35].

وينظر المواطن العربي ليوم الخميس ذاك بأنه الأكثر قسوة على الكيان العربي في ذلك العام، حتى وإن انتصر المظلومون فإن حرب الأشقاء أدمت قلوب المسلمين، فالروائي يرسم المشهد باختصار ليبرر للقارئ أحداث الخميس المؤلمة، نجدة الطائرات الأمريكية اعتبرها انهزاما لنا، فتحطيم الأسنان يرمز لاتحاد الدول العربية وتلاحمها كالأسنان المرصوصة، ووظف الكهولة رمزية للتراجع عن التطور، والالتزام بسداد مديونيات الحرب، تمزقت الأحلام وتلاشت الخطط التنموية لبلادنا بسبب تلك الحرب، لذلك استطاع الروائي إقناع القارئ في كآبة الخميس بالنسبة للشخصية المتابعة لأحداث حرب الخليج. وقد أجاد سعد الدوسري ربط الخيال بالواقع التاريخي وركز على الزمن وذكرياته الحزينة، وتميز في توظيف الفضاء الزماني والمكاني في صنع الأحداث، وتعمق في الوصف للكشف عن قلق الشخصيّات المتأثر بتلك الأحداث الخارجيّة، ومتوجهة كتابته للألفاظ الصحفية الحربيّة، وامتاز بقوة العاطفة في النقل والتصوير؛ لأنه عاش تلك اللحظات في الحقيقة وقد أثر عليه الواقع في كتابته الروائية، وأجاد الروائي الانتقال بين الفضاءات الكبرى المتنوعة مع الحفاظ على انغلاق فضاء الشخصيّة الخاص، وقد عبر بدلالات لها رمزية خاصة ومكتنزة للسخط من بعض القرارات السياسية في تلك الأحداث، وتركيزه المباشر على يوم الخميس أعطى القارئ تصورًا لقوة ذلك الحدث على الشخصيّات ورسوخه في ذاكرة الروائي الذي يكرره بنعوت ساخطة جعلت كل خميس يمر به يذكره بتلك المآسي الدموية، وأهم مقياس لنقد المعنى عند القارئ هو صحة تلك الأحداث في التاريخ رغم بساطة الخيال ووضوح المفردات.

ويُستنتج من خلال تحليل مدونة الدراسة أن تعدّد الفضاء في الروايات السعودية المعاصرة وتنوّعها بحسب الحاجة، وتختلف درجات الإتقان بين الأدباء لرسم الفضاء بأنواعه المتداخلة والمختلفة، وخصوصية الفضاء السيكولوجية، فمأتاها في الروايات ربط لواعج النّفس وانفعالاتها بصفات الفضاء وهيآته. بحيث يقصد الروائي بدل التصريح بالمشاعر إلى استبطانها واستحيائها ممّا يبدو على المناظر الطبيعية والأشياء من ملامح وسمات، وهو بذلك يكشف مرّة عمّا تجده الشخصيّة في نفسها من مشاعر، ومرّة أخرى عن طبيعة علاقتها بالفضاء من حولها، ويجعل ذلك للفضاء إذا اتصل بنوازع النّفس، حركات تعبيرية قائمة على ثنائيتين:

- ينكشف الفضاء في الحركة الأولى عبر الشخصيّة، والشخصيّة عبر الفضاء.
- يتآلف الفضاء والشخصيّة في الحركة الثانية مرّة ويتخالفان أخرى.

وهو ما يعني أنّ الفضاء لا يستقر في الرواية السعودية على صورة واحدة، بل يكون وفق علاقته بالشخصيّة في وضع تماثل واتساق أو تخالف وتباين.[36] وعندما ننظر في الفضاءات داخل الرواية الحديثة من حيث كثافتها ونسب

(35)- الرياض- نوفمبر90، ص137.

(36)- انظر: الوصف في الرواية العربية الحديثة، ص 464- 465.

حضورها، نلحظ تعدّدها وتوزعها بين فضاءات أصليّة تنطلق منها الشخصيّات، وأخرى تمثل نقاط وصولها، وثالثة تعدّ مناطق عبور تفتح الفضاء على غيره وتيسّر النقلة إليه.[37] والفضاءات التي أُستخدمت في الرواية السعوديّة المعاصرة.

الخاتمة

تمّ – بعون الله وتوفيقه – هذا البحث (بوليفونيّة الفضاء المغلق في السرد السعودي المعاصر) وقد اهتم بدراسة تحولات الفضاء وتعدده وتطوره من خلال مدونة مختارة متنوعة.

وقد أفضت هذه الدراسة إلى عدّة استنتاجات، من أهمها:

- أن النّص متعدد الفضاءات يصنع الإثارة والتشويق، بينما تضفي الأحادية في الغالب على النص الجمود، وتقلل من قيمة المسافة الجمالية وأفق التوقعات.
- أن تطوّر الروايات السعوديّة وتحولها يظهر من خلال توظيفها للتقنيات الفنية الحديثة وفق النظريات النقديّة بصورة متنامية، وانتماء أكثر الروايات إلى مرحلة مستوى تعددية الفضاء المغلق المتوسطة، يدل على تجاوزها الأنماط التقليدية القائمة على المنظور الأحادي والصوت الوحيد المهيمن على أحداث النّص.
- أن للنقد الحديث إسهام في تحوّل الأعمال الروائية السعوديّة إلى استخدام التقنيات الجديدة في كتابة الرواية، من خلال الدراسات الأكاديمية ومقالات القنوات الثقافية.
- أن النّص الروائي ذا التعددية في توظيف الفضاء المغلق يقبل بث أفكار متنوعة ورؤى متكاملة، واستعراض موضوعات في مجالات متعددة، ويكون الاسترسال السردي متاحًا بحدود أوسع منه في الرواية ذات الصوت الأحادي.
- أن الروايات السعوديّة المتعددة اعتمدت على أنساق بنائية خاصة، أهمها: البناء المتوازي والتضمين في تشكيل الأحداث، وتوظيف الصور المتحركة المعبرة، والتعبير بلغة تركيبية متنوعة.
- أن كتابة الرواية مرتبطة بمقاييس بناء فنيّة حديثة، وأنها تختلف باختلاف القدرات الذاتية للمبدعين، وبينما يتطلب الجانب ضرورة توظيف الأحاديّة؛ لدلالة رمزيّة مقصودة، فإن بعض الروائيين يتركه ضعفاً في القدرات الفنية.
- أن البوليفونية في الرواية السعودية لا تقتصر على تعددية الفضاءات فحسب، بل لها وجود عميق في تجاويف الرواية، فيمكن أن يكون لأي مكون من مكونات النّص الروائي صوتًا يحمل دلالات معينة، مثل: البيت المهجور؛ الذي قد يعبر عن موت ساكنيه أو تحوّل وضعهم الاقتصادي أو شتاتهم لسبب ما، فهنا الفضاء المكاني له صوت معبر دون تصريح، وتعدد الفضاءات يوحي بتعدد الهويات والثقافات والأوضاع الإنسانية.
- أن النسب متقاربة بين الروائيين والروائيات في توظيف تعددية الفضاء المغلق، ويُلاحظ أن روايات التعدديّة العالية كتّابها لهم تجارب سابقة في ميدان صناعة الفن الروائي والسردي.

والحمد لله الذي بنعمه تتمّ الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين....

ثبت بالمصادر والمراجع:

1- 7(سبعة)، غازي القصيبي، دار الساقي، بيروت، ط:6، 2011م.
2- اتجاهات التجديد في الرواية السعودية، د.سلطان القحطاني، مجلة عالم الكتب، مج23، ع122، 1422هـ.

(37)- انظر: الوصف في الرواية العربية الحديثة، ص 471.

3- الأدب التونسي الحديث وسؤال الجمالية، د. أحمد الودرني، ابن زيدون للنشر، 2007م.
4- الأدب والدلالة، تودوروف، ت: محمد نديم خشفة، ط:1، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، 1996م.
5- أريد رجلا، نور عبدالمجيد، دار الساقي، بيروت، ط:1، 2011م.
6- أسلوبية الرواية، حميد لحميداني، منشورات دراسات، الدار البيضاء، 1989م.
7- آليات السرد في القصة القصيرة في العراق، د. سروة البدراني، جامعة الموصل، دار النابغة للنشر، القاهرة، ط:1، 1435هـ.
8- البحريات، أميمة الخميس، دار المدى، دمشق، ط:1، 2006م.
9- بناء الرواية، عبدالفتاح عثمان، مطبعة التقدم، القاهرة، 1982م.
10- بناء السرد في الرواية الأردنية، رانيا أحمد الذنيبات، جامعة مؤتة، 2002م.
11- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:1، 1990م.
12- بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ومنشورات الاختلاف، الجزائر ط:1، 1431هـ.
13- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:3، 2000م.
14- البوليفونية في الرواية الأردنية، د. نزار قبيلات، وزارة الثقافة، عمّان، ط:1، 2012م.
15- التحليل البنيوي للسرد، د. سامية أحمد أسعد، مجلة الأقلام، ع:1، السنة الرابعة عشرة، تشرين الأول، 1978م.
16- تحليل الخطاب السردي: قضاياه وآفاقه، أ.د. محمد القاضي، محاضرة كرسي بحث الجزيرة للدراسات اللغوية الحديثة، 3012- 1431هـ.
17- تحليل النّص السردي (تقنيات ومفاهيم)، محمد بوعزة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:1، 2010م.
18- تحليل النص السردي بين النظرية والتطبيق، أ.د. محمد القاضي، مسكيلياني للنشر، تونس، ط:2، 2003م.
19- تعدد الأصوات في الروايات المحفوظية، عادل عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م.
20- تعريف السرد في عالم الرواية. رولان بورنوف وريال أوئيله، ت. نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1991م.
21- خصائص الفعل السردي في الرواية العربية الجديدة، د.بعيطيش يحي، مجلة الآداب واللغات، ع:8، جامعة منتوري، الجزائر، 2011م.
22- خصائص الكتابة الروائية، أحمد الناوي بدري، دار الحوار للنشر، اللاذقية، ط:7، 2015م.
23- خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرار جيبب، ترجمة مشتركة، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، 1977م.
24- الرواية البوليفونية العربية، أحمد محمد زلط، جامعة اليرموك، الأردن، 2005م.
25- الرواية وتحولات المجتمع في المملكة، د. سلطان القحطاني، النادي الأدبي بالباحة، ط: 1429،1هـ.
26- الرياض- نوفمبر90، سعد الدوسري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط:2، 2012م.
27- ستر، رجاء عالم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط:2، 2007م.
28- سيميائية الشخصية في الرواية السعودية، د. الريم الفواز، الانتشار العربي، بيروت، ط:1، 1437هـ.
29- الشخصيّة في نماذج من القص العربي، رضا بن حميد، ميسكيلياني للنشر، تونس، ط:1.
30- شعرية دويستويفسكي. ترجمة جميل نصيف التكريتي.دار توبقال. الدار البيضاء. 1986.
31- الصوت الآخر، فاضل ثامر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992م.

32- عالم الرواية: رولان بورنوف، ت: نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط:1، 1991م.
33- العتمة، سلام عبدالعزيز، دار الساقي، بيروت، ط:1، 2009م.
34- علاقة الرواية بحركة المجتمع مدخل نظري، إبراهيم الدغريري، النادي الأدبي بالباحة، ط:1، 1429هـ.
35- علم السرد، يان مانفريد، ت: أماني أبو رحمة، دار نينوى، دمشق، 1431هـ.
36- فرسان وكهنة، د. منذر القباني، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط:1، 2013م.
37- الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، د.إبراهيم جنداري، تموز للطباعة والنشر، دمشق، ط:1، 2013م.
38- الفضاء الروائي في الأعمال الروائية لغسان كنفاني، إبراهيم كاتان، كلية الآداب، الرباط.
39- الفضاء الروائي في الغربة: الإطار والدلالة، منيب محمد البوريمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1983م.
40- الفضاء في الرواية العربية الجديدة، حورية الظل، دار نينوى، دمشق، 1432هـ، ص27- 28.
41- في مفاهيم النقد وحركة الثقافة العربية، د. يمنى العيد، دارالفارابي، بيروت، ط:1، 2005م.
42- قضايا الفن الإبداعي عند دوستويفسكي، ميخائيل باختين، ت:جميل التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
43- قلوب تبحث عن مرافئ، محمد حمد الفارس، دار الساقي، بيروت، ط:1، 2014م.
44- ماسحو الأحذية، عائشة الدوسري، دار الكفاح للنشر، الدمام، ط:2، 1435هـ.
45- مساءلة النص الروائي في السرديات العربية الخليجية المعاصرة، أ.د. الرشيد بو شعير، هيئة أبوظبي للثقافة، الإمارات، 2010م.
46- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ت: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م.
47- مُضمرات النص والخطاب دراسة في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999م.
48- النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان ذريل، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
49- نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط:3، 1985م.